



## مآخذ للمواطن عبد الله

بقلم إدريس الصغير

### ١ - حيرة صادقة لطبيب في عيادة من آخر موديل

استرسل شعر لحياتي في غيبة عني ، وغارت العينان في الحجريين واليدان رعرش . وضعت قلبي بين كفتي . قطعة لحم حمراء تنبض ، قال الطبيب ، نبضا طبيعيا . وأضاف حانقا متعجبا : قلوبكم كلها هكذا . تدخنون وتشربون الخمرة الرخيصة وتحملون كل هموم الدنيا وتكدحون ... لكن نبض قلوبكم يبقى دائما طبيعيا .

نزع نظارتيه الطبيتين ووضعهما فوق المكتب الانيق وأضاف : وتضاعفون نساءكم مرات لا تحصى في اليوم . تعلقون من جفون أعينكم وتطعمون الخبز والشاي ، لكن نبض قلوبكم يبقى دائما طبيعيا . من أنتم ؟ كان يوزع نظارته الحيرى بين وجهي الشاحب وكتب الطب المرصوفة بعناية على رفوف المكتبة الخشبية « آخر موديل » .

### ٢ - تعريف مختصر جدا وصادق جدا :

أقسم بالله العلي العظيم ، اني انا المواطن عبد الله ، مواطن عادي جدا . لا أمارس السحر ، بل لا أؤمن حتى بوجوده ، ولا أقيم جلسات لتحضير الارواح ، ولم يكتب لي فقيه « التبايد » (١) أو ينجز لي حجابا . لا ابكي لكنني أتالم . تؤلمني الصفة وتصرعني الركلة . يطفر الدم من جسدي ساخنا اذا لسعني الكرباج . يدور رأسي ويصيبني الفثيان اذا ما علقت أو طرحت أرضا . باختصار شديد ، أنا مواطن عادي جدا . بشر . وجسدي لا يتحمل أكثر مما يمكن أن يتحملة البشر .

### ٣ - علاقة صادقة جدا في محطة قطار مهجورة :

محطة قطار مهجورة تفتسل تحت شآبيب المطر .

سكة الحديد الصدئة الثعبانية واسلاك الكهرباء وكراسي الانتظار الاسمنتية . كان رئيس المحطة قد تكوم في معطفه الاسود الصوفي ذي الازرار النحاسية ومضى يغطّ فوق مقعده الخشبي . تمر القطارات من هنا مسرعة دون أن تتوقف ، يصمّ صغيرها الأذان ويهز ضجيجها المحطة المهجورة . لكنها لا تتوقف أبدا . قطار واحد في اليوم يتوقف ليلفظ راكبا أو اثنين وقد يحمل راكبا أو اثنين . قطار بطيء هرم صدىء العجلات . هنالك فقط يقوم رئيس المحطة بتكاسل ليحدث السائق ويعطيه شيئا أو يأخذ منه شيئا ، ثم يغطي وجهه بطربوشه ويغطّ فوق مقعده الخشبي . هنا ، في هذا المكان ، قررنا أن نلتقي . أنا وأنت وساعة المحطة ذات الارقام الرومانية الصدئة . كانت الريح تمثت بخصلات شعرك الحريري الناعم ، وكان الدمع ينسكب من العينين مدارا . وهذه الوثيقة بين يدي تثبت شرعية العلاقة بيننا كما يحددها العرف والقانون والدين . مداد أسود فاحم وخط غير مقروء وتوقيعان مرتعشان . تمتد اليد الى اليد بخوف . رعشة كهربائية صاعقة والدمع الساخن ينسكب على الخدين وذكراهما تمثل . هل يستطيع حضني أن يشعرك بالدفء كما كنت تشعيرين في حضنه ؟ هل تستطيعين تمسيد كتفي كما كانت تمسدهما كل مساء ؟ أنا وأنت والمحطة المهجورة وذكراهما . الوثيقة ترتعش بين يدي والدمع ينسكب من عينيك ساخنا ساخنا .

في الصباح ، حين أشرقت الشمس الصفراء ، ماتا في غرفتين ضيقتين نتنتين مظلمتين باردتين موصدتين . وكنا نحمّل السجائر والجبن والموز . وبكيننا . تخبطنا . والوثيقة ترتعش بين يدي . تشيحين عني بوجهك واليد تمتد الى اليد بخوف . والرعشة الكهربائية الصاعقة .

يمر قطار بسرعة جنونية مرسلا صغيره الحساد فتهتز المحطة المهجورة وتردد جوانبها الخالية صدى

(١) التبايد : تقول العامة ، حجاب يكتبه الفقيه للشخص ويوزعه بين جلده وعقله فلا تقتله بعد ذلك اللطافات النارية أبدا .

ولما ألمّ بي الجوع اللعين شاهدت برامج التلفزيون ،  
وقلت : لن أشغل نفسي بماديات الدنيا النتنة . الدرهم  
فان والاكل فان والجسد فان . أشرب الماء فقط  
محافظة على الروح التي لا تفنى .

أقسم بالله العلي العظيم اني انا المواطن عبد الله ،  
مواطن عادي جدا . لا أمارس السحر أو اليوغا أو اي  
شيء من هذا القبيل . واذا رأيتم اني لم أمت لحد  
الآن فان ذلك ...

المغرب

احتكاك العجلات بالسكة الحديدية الصدئة . ترقص  
الاسلاك الكهربائية السوداء الغليظة المبتلة ، بينما يغط  
رئيس المحطة مكوما في معطفه الاسود تحت الساعة  
ذات الارقام الرومانية . تبينت من خلال زجاج نوافذ  
القطار وجوها ضاحكة ، وخيل لي ان سائق القطار  
حياتي باشارة من يده .

اليد تمتد الى اليد بخوف . الرعشة وذكرهما  
تمثل تمثل تمثل .

#### ٤ - بداية صادقة لعلاقة انسانية صادقة :

اليد تشابك اليد والقلب نبض يقول الطبيب انه  
كان طبيعيا . وأنا وأنت . انا هنا . والمحطة المهجورة  
تغتسل تحت شآبيب المطر . نعود واليد تشابك اليد  
والقلب نبض . تسكن الاسلاك الكهربائية السوداء  
الغليظة الصدئة . وتضيق سكة الحديد ويصغر القطار  
يصغر يصغر . يذوب في الافق وصفيره يضعف  
يضعف يضعف .

جثتان باردتان في قبرين ملتصقين تحت شجرة  
بلوط عجوز تصفر الرياح بين غصونها المتخشبة . متى  
سقط المطر على تراب القبرين نبتت الاقاحي والرياحين .  
اسأليني انا . انا ابن هذه الارض ذات التربة الحمراء .  
تشم خياشيمي على بعد ملايين الكيلومترات الاقحوان  
والريحان والزعفران وماء الورد ورائحة الجثث الباردة .  
اسأليني انا . اسأليني عن تراويل الفقهاء وعويل النساء  
ونواقيس سقائي القبور . اسأليني عن طعم التين المجفف  
ووجبات المآثم بلحمها الازرق وشايبها الاسود . اسأليني .  
اليد تشابك اليد والطريق الاسفلتي المبتل المتعرج يمتد  
امامنا طويلا نسير ، ورطوبة النهر الرصاصي تداعب  
أوصالك فترتعشين . هذا النهر يلتوي ليحضن هذه  
المدينة . يوجد عليها بسمكه ويجرف أكوأخها بمائه .  
ينتصب جدار السجن البليد على الضفة اليسرى حيث  
الميناء . يطيش الرصاص في ساحة الاعدام وتترنج  
الجثث منتفضة كدجاجات اثر الذبح .

#### ٥ - عبارات صادقة من مذكرة المواطن عبد الله :

أنا المواطن عبد الله . حين أدبت ثمن الكراء والماء  
والكهرباء ، وخلصت ذمتي من ديون البقال والجزار  
والخضار . حين فعلت هذا أتيت على مرتبي الشهري  
بكامله ، فنذرت صومـا لله ونظفت أسناني بمعجون  
صيدلي وجلست أشاهد برامج التلفزيون . وقلت في  
نفسي : انا أسعد انسان على وجه الارض . انام مرتاح  
البال ، اذ لو اقتحم اللصوص منزلي ما وجدوا للدرهم  
اثرا . ورددت في نفسي : عاش الفقر . عاش الفقر .

صدر حديثا :

## زوربا

الرواية الشهيرة لـ :

نيكوس كازانتزافي

بعد فيابها طويلا عن السوق

ترجمة جورج طرايبشي

## الشك

الرواية الشهيرة لـ :

كولن ولسن

التي كانت تنقص مجموعته

الروائية الكاملة

صدرت حديثا

في طبعة جديدة

عن دار الآداب